

الخلافا الفقهى فى صلاة الجماعة فى بىء الله الحرام من وجهة النظر الهندسية

د. عباس علي عبد الرضا

الكلية التربوية المفتوحة / وزارة التربية

المقدمة

صلاة الجماعة والتي إقامة الصلاة مع جماعة من الناس يقتدون بإمام يقف امامهم ، فيسمى الناس الذين يصطفون خلفه بالمؤمنين ، وتسمى الصلاة حينئذ بصلاة الجماعة. ومن تركها متعمداً قادته تؤدي الى عدم اكتمال صلاته ، فروى عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) فى فضل صلاة الجماعة أنه قال : من تركها رغبة عنها وعن جماعة المؤمنين من غير على فلا صلاة له ^(١). وتزداد صلاة الجماعة فضلاً عندما تكون فى بىء الله الحرام ، حيث الكعبة المشرفة التي جعلها الله للناس قبلة لصلاتهم سواء أكانوا فى داخل المسجد الحرام او بعيداً عنه.

نحاول فى هذا البحث ان نعطي التفسير الهندسي للصلاة جماعة حول البىء الحرام بالترتيب المحوري ، والذي هو مجزي عند أهل السنة والجماعة وغير مجزي عند الامامية. ولكي تتحقق صلاة الجماعة لا بد ان يكون الامام متقدماً على المؤمنى فى الصلاة . إن الترتيب المحوري فى الصلاة جماعة فى بىء الله الحرام من وجهة نظر الفقه الامامي لا يحقق هذا الشرط ، أما عند أهل السنة والجماعة فالامر يختلف من تلك الناحية. ثم تقدم الحل الهندسي لمسألة الخلاف بحيث يحقق الموقف الشرعي للصلاة فى هذا المكان المقدس والشريف.

قسم الباحث البحث الى :

Collective Prayer Around the House of Allah Geometrical Vision

We are trying in this research to give a geometrical explanation to the collective prayer in a spiral arrangement around the Holy House, which is considered sufficient for the Sunnites but not for the Shiites.

In order to accomplish the requirements of the collective prayer, it is obligatory the Imam precedes the group.

^١ طالب السنجرى ، الفقه الميسر ، باب صلاة الجماعة : دار المجتبى ، بيروت ، ص ٧٧ ، ١٤١٩/١٩٩٨.

The spiral collective prayer in the Holy House of Allah, according to the Shiite belief, does not satisfy this requirement. The matter is different with the Sunnites belief.

We hereby provide the geometrical solution to this debate which may explain the legal stand of the prayer in this Holy place.

المبحث الاول

فضل صلاة الجماعة

((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ يَا اللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ..))^(٢)

الكعبة أول بيت وضعه الله للناس على الأرض وهو البيت الحرام والبيت العتيق وهو القبلة التي اختارها الله للمسلمين يتجهون إليها كل صلاة .. اختلف العلماء في زمن بناء البيت العتيق فمنهم من قال أنه في عهد آدم عليه السلام ومنهم من قال أن بناؤه قبل خلق آدم ومنهم من قال أن البناء في عهد إبراهيم عليه السلام.

قال صلى الله عليه وآله وسلم : (إن مكة هي أحب بلاد الله إلى الله) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة : (ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعصده شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها) وقد شرع الله للحرم أحكاما تخصه منها: تحريم القتال فيه وتحريم صيد الحيوانات والطيور الموجودة به، وتحريم قطع نباته الذي أنبتته الله تعالى ولم يزرعه أحد وتحريم التقاط لقطته إلا لمن يعرفها ، ولقد جاء في فضل مكة المكرمة أحاديث كثيرة منها الصحيح ومنها الضعيف ولعله من المفيد ان نذكر بعض فضائلها وميزاتها. ومن أعظم فضائله مضاعفة أجر الصلاة فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة مرة)^٣. ويكون معنى هذا الحديث أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، لأنها تفضل الصلاة في المسجد النبوي بمائة مرة وبما أن الصلاة في المسجد النبوي بألف فيصبح المجموع مائة ألف، حاصل ضرب ألف في مائة . هذا إذا كانت الصلاة فرادى فكيف إذا أديت جماعة ، فذلك فضل لا يساويه فضل. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)

قال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع): اول جماعة كانت ان رسول الله (ص) كان يصلي وامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) معه إذ مرّ ابو طالب وجعفر معه فقال: يا بني صل جناح ابن عمك ، فلما أحس رسول الله (ص) تقدمهما ، وانصرف ابو طالب مسرورا.

المبحث الثاني

^٢ سورة البقرة آية ١٢٤

^٣ رواه احمد في مسنده/ حديث رقم ١٥١٩ برواية سعد.

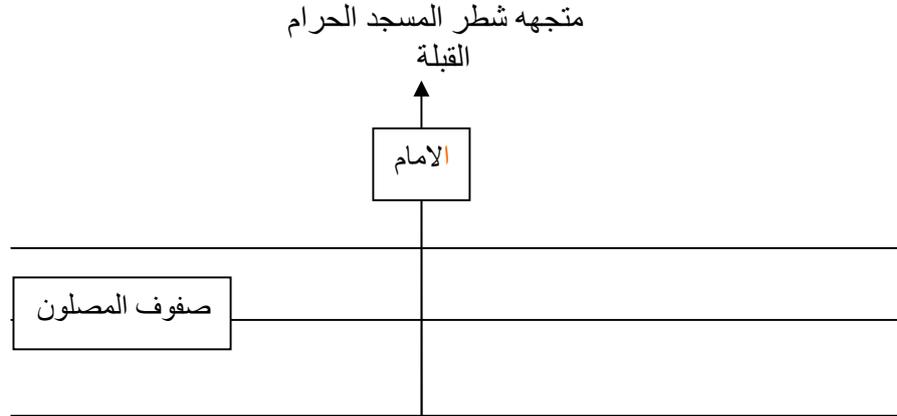
التفسير الهندسي لموضوع الخلاف:

التفسير الهندسي الآتي يعطي التبرير الفقهي لشرعية الصلاة جماعة حول بيت الله الحرام وفق مذاهب أهل السنة والجماعة:

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم {و من حيث خرجت فولي وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره} ^٤ . يفهم من هذه الآية المباركة ان تكون الصلاة باتجاه البيت الحرام من اي مكان يصلي فيه المسلم. ويقول السيد الخوئي (رض) : يجب استقبال المكان الواقع فيه البيت الشريف الذي هو من تخوم الارض الى عنان السماء في جميع الفرائض اليومية وتوابعها من الاجزاء المنسية. ووفق هذا يجب ان تكون الصفوف على شكل خطوط مستقيمة ومتوازية مصطفة بصورة عمودية على اتجاه القبلة ^٥.

نلاحظ من الشكل رقم (١) ان خطوط المصلين كلها تكون خلف خط وهمي يسمى "خط محاذاة الامام". فواضح هنا ان الامام يتقدم المصلين. وهذا ما يتفق عليه اهل السنة والامامية.

ولكن الخلاف ، كما أسلفنا ، يحصل بين المدرستين الفقهييتين ، أهل السنة والجماعة والامامية ، فقط عندما تكون الصلاة جماعة في البيت الحرام.



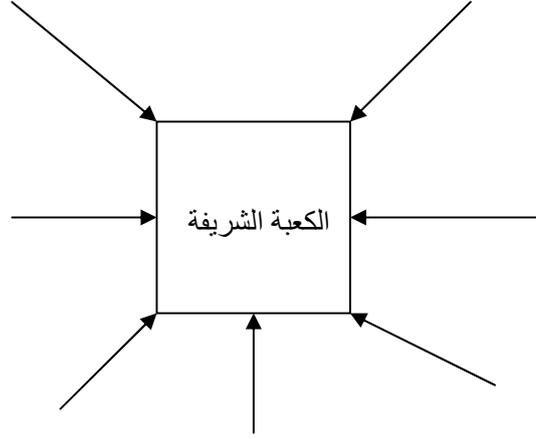
شكل رقم (١) يبين ترتيب المصلين بالتوجه شطر المسجد الحرام

كما نعلم ان القبلة داخل المسجد الحرام تتجه باتجاه شعاعي نحو الكعبة ، فعليه يستطيع المصلي ان يؤدي صلاته باي اتجاه يشاء ما دام البيت امامه ^٦ . انظر الشكل رقم (٢). بهذا الترتيب نجد انه لا خلاف بين اهل السنة والامامية عندما تكون الصلاة فرادى وليست جماعة.

^٤ سورة البقرة آية ١٥٠.

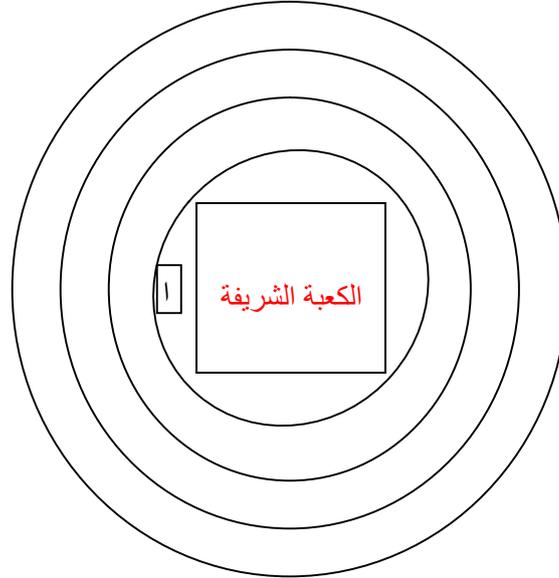
^٥ الخوئي ، السيد ابو القاسم ، منهاج الصالحين ، كتاب العبادات/ باب الصلاة - القبلة.

^٦ السيستاني ، السيد علي ، منهاج الصالحين ، كتاب الصلاة ، المقصد الثاني / القبلة ، ص ١٧٢.



شكل رقم (٢) يبين التوجه المحوري في الصلاة فرادى حول البيت الحرام.

وأما بالنسبة للصلاة جماعة صلاة الجماعة حول البيت الحرام فهي تقام في الوقت الحاضر بشكل خطوط دائرية متحدة المركز، وهذا المركز يقع في البيت الحرام. وتأخذ هذه الدوائر بالاتساع كلما ابتعدنا عن الكعبة الشريفة.^٧ انظر الشكل رقم (٣).



الشكل رقم (٣) يبين ترتيب المصلين جماعة حول الكعبة وفق مذاهب اهل السنة والجماعة

^٧ النووي ، محي الدين بن شرف ابو زكريا ، منهاج الطالبين ، المجلد الاول ، باب الصلاة ، ص ١٨ .

وكما هو معروف في اصول الهندسة المستوية ، فان الدائرة الأصغر قطراً هي متقدمة على الدائرة الأكبر قطراً والتالية لها ، بشرط ان يكون اتجاه النظر نحو المركز ، وبعبارة اخرى ، الدوائر الأكبر قطراً تكون خلف الدوائر الأصغر قطراً.

ومن هذا المنطلق فان الدائرة الوهمية (دائرة المحاذاة) التي يقف عندها الامام في البيت الحرام تكون متقدمة على كل الدوائر التي يصطف فيها المصلون ، وهو يتقدمهم دائرياً وليس خطياً.

فوفق مذاهب اهل السنة والجماعة إن عدم المحاذاة للإمام حاصلة ، ولو بصورة دائرية ، والمصلون كلهم يصطفون خلفه دائرياً ، قال الشيخ النووي ويستديرون في المسجد الحرام حول الكعبة ولا يضر كونهم أقرب إلى الكعبة في غير جهة الإمام في الأصح^٨ ، وتصح داخل الكعبة إذا جعل وجهه إلى وجه إمامه أو ظهره إلى ظهره لا إن جعل ظهره إلى وجه إمامه لأنه متقدم عليه وإن وقفوا حول الكعبة مستديرين صحت فإن كان المأموم في جهته أقرب من الإمام في جهته جاز إن لم يكونا في جهة واحدة فتبطل صلاة المأموم^٩ . وبذلك يكونوا متوجهين الى البيت الحرام بالتوجه الشعاعي . انظر الى الشكل رقم (٢).

ومن هنا فإن موضع الخلاف بين الامامية واهل السنة والجماعة هو فقط في تقدم الامام على المصلين لا من حيث التوجه ، لأن الامامية لا يعتبرون الامام في الشكل رقم (٣) متقدماً على كل المصلين بدليل انهم يكونون أمامه من الجهة الثانية من البيت ، ولكنه ، كما هو واضح من الشكل السابق ، أن الامام متقدم عليهم بشكل نصف دائري ، فلماذا لا تحقق الجماعة عندهم لكل المصلين وفق هذا الترتيب.

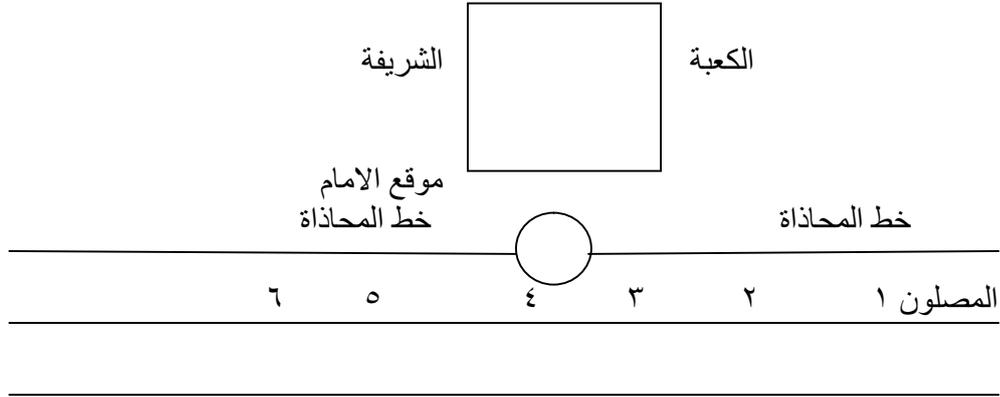
المبحث الثالث

الحل الهندسي للخلاف:

لعل الرجوع الى الرياضيات في حل بعض المشاكل والخلافات التي تحدث في مسألة فهم بعض النصوص الواردة وعلى الاخص عندما يقع فهمها ما بين الدقة العقلية والصدق العرفي. فالرياضيات بفروعها قد تعين في توضيح مسألة الخلاف و تساعد في إدراك وفهم الحكم الشرعي لدرجة اليقين الصادق. وما موضوع الخلاف في الصلاة جماعة في البيت الحرام بين السنة والامامية إلا واحد من هذه الامور التي تتطلب منا الرجوع الى القوانين الهندسية لغرض ايجاد الطريقة الشرعية للصلاة جماعة في البيت الحرام . وليس الغرض من الحل الهندسي لموضوع الخلاف هو لتقديم الحل الوسط للطائفتين ، ولكنه ، كما نعتقد نعتبره وسيلة مرضية ومقتعة لفهم وادراك الحكم الشرعي للصلاة جماعة في البيت الحرام.

كما اسلفنا ، أن الاختلاف في صورة صلاة جماعة في البيت الحرام بين أهل السنة والجماعة والامامية ، اذ يرى الطرف الاول ان الصلاة جماعة في البيت الحرام هو بالاصطاف المحوري حول البيت الحرام ، وهي كما علمنا لا تنقض عندهم حالة المحاذاة ، فهم وفق هذا الرأي متوجهون الى القبلة بالاتجاه الشعاعي ، فالكعبة امامهم . و أما الطرف الثاني فهم لا يرون ان الصلاة جماعة في البيت الحرام بالاصطاف المحوري مجزياً

ويعتبرون ذلك مُخلاً بحالة المحاذاة فقط. فالصلاة جماعة عندهم في هذا المكان الشريف يجب ان تكون بخطوط مستقيمة خلف الامام. وهنا يرد إشكال في حالة التوجه الى الكعبة في الصورة الثانية (أي الصلاة بخطوط مستقيمة خلف الامام) ، حيث يبدو لنا انه ليس كل المصلين هم في حالة توجه الى الكعبة في صلاتهم.



الشكل رقم (٤) يوضح مواقع و توجهه المصلين في الاصطفاغ الديكارتى نحو الكعبة الشريفة.

فالإمام يقف خلف الكعبة والمصلون في المواقع ٣ و ٤ يقفون خلفه وهم بالتالي خلف الكعبة ، اي انهم متوجهون من حيث الموقع الى القبلة وهي امامهم. أما المصلون في المواقع ١ و ٢ و ٥ و ٦ جميعهم يقفون خلف خط المحاذاة مع الامام ، إلا انهم غير متوجهين الى القبلة بدليل ان الكعبة ليست امامهم.

فلو أخذنا برأي الامامية ورسنا خطأ وهمياً وهو ما يسمى بالاصطلاح الفقهي بخط محاذاة الإمام، وهذا الخط سوف لا يسمح التطاول على خط الامام لان موقف المصلين خلفه بحيث لا يصدق أن المصلين يقفون أمام الإمام عرفاً. أنظر الشكل رقم (٥). وكذا لو أخذنا برأي أهل السنة والجماعة بحيث أن المصلين لا يقفون بخطوط مستقيمة في داخل الحرم الشريف بل في دوائر متحدة المركز. فلو التقى الرأيان ، فان الحل الهندسي سوف يقول لنا : أن خط المحاذاة المرسوم سوف يقطع الدوائر المتحدة المركز الى جزأين ، جزءاً فوق خط المحاذاة و جزءاً آخر خلف خط المحاذاة. فالمساحة التي تغطي المكان الذي يمتد خلف خط المحاذاة سيكون هو المكان الذي تنتظم فيه صفوف المصلين. وأما مساحة الجزء الآخر فلا يجوز فيها الصلاة جماعة لأن المصلين سيكونون أمام الإمام في صلاتهم.

ولكي يصطف المصلون على المقاطع الدائرية ، والتي تقع خلف المحاذاة ، بصورة تحقق شرطي صلاة الجماعة ، في التوجه الى الكعبة و الوقوف خلف خط محاذاة الامام بحيث لا يحصل حالة التطاول في مواقع المصلين بالنسبة لموقف الإمام. حتى نحقق ذلك علينا ان نتخيل أن هناك اشعة تنطلق من البيت الشريف بصورة خطوط مستقيمة بحيث تكون

عمودية على المماس لدائرة المصلين والذي يمر من الموقع الذي يقف فيه المصلي ، بدرجة تحقق فيه توجهه الى الكعبة الشريفة.

وهكذا فان الصلاة جماعة في بيت الله الحرام وفق هذا الرأي ستكون بمقاطع دوائر متحدة في مركز وهمي يقع في داخل الكعبة الشريفة وليس بخطوط مستقيمة ديكارتية متوازية كما يحصل للمصلين الذين يؤدون صلواتهم الى سمت الكعبة ، وذلك عندما يبتعدون عن البيت الحرام بمسافات كبيرة جداً ، بحيث تتحول تلك المقاطع الدائرية الى خطوط مستقيمة كلما تناهت في الكبر أقطارها. و تلك هي حقيقة هندسية معروفة و مسلم بها ، من أن المقاطع الدائرية تتحول تقريباً الى خطوط مستقيمة كلما كبرت الاقطار واتسعت بالامتداد الذي قد يصل الى آلاف الكيلومترات، وهذا هو مصداق الآية المباركة :

((قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ))^{١٠}

و هذا يعني ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي (صلى عليه وآله وسلم) وهو في المدينة المنورة ان يستقبل في صلاته البيت الحرام أي الكعبة الشريفة ، ثم يتوجه القرآن الكريم الى الأمة بأن تتوجه في صلاتها وتولي الكعبة الشريفة في ذلك.

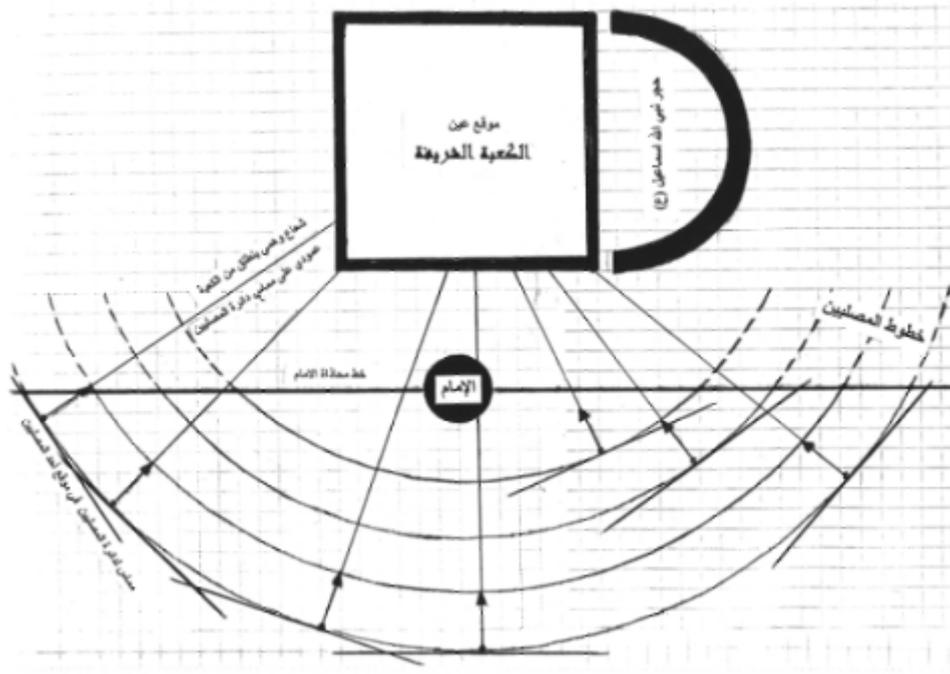
ثم يأتي الأمر التالي في الآية المباركة التالية:

((وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ))^{١١}

وهذا يعني انه في حالة الابتعاد عن البيت الحرام يجب ان نحدد القبلة باتجاه سمت الكعبة الشريفة بحيث نصلي بخطوط مستقيمة ، و هي في الحقيقة عبارة عن اجزاء من مقاطع دائرية ذات اقطار متناهية في الكبر والامتداد.

^{١٠} سورة البقرة آية ١٤٤ .

^{١١} سورة البقرة آية ١٥٠ .



شكل رقم (٥) يوضح الحل الهندسي للصلاة جماعة في بيت الله الحرام .

هذا هو التفسير الهندسي لنقطة الخلاف بين اهل السنة والجماعة والامامية حول الصلاة جماعة حول البيت الحرام. والحمد لله رب العالمين.

الدكتور عباس علي عبدالرضا (الطائي) / عميد الكلية التربوية المفتوحة / وزارة التربية ، و باحث علمي في جامعة بيت الحكمة الكندية / مونتريال - كندا .
مدرس سابق في الجامعة التكنولوجية/ بغداد و في جامعة الكويت ومحاضر سابق في جامعة كونكورديا/ مونتريال.
(دكتوراه في علوم التاريخ و ماجستير في التعليم و ماجستير في هندسة الانتاج و بكالوريوس في الهندسة الميكانيكية).

النتائج :

قدمت هذه الدراسة رؤية هندسية للخلاف الفقهي بين المدارس الاسلامية ، اي بين المدرسة الامامية الفقهية من جهة وأهل السنة والجماعة من جهة اخرى ، بخصوص تنظيم صفوف المصلين في صلاة الجماعة حول الكعبة في مسجد بيت الله الحرام. وقد بينت هذه الدراسة جوهر الخلاف باعتماد قوانين الهندسة المستوية لتمثيل شكل الاصطفاف ، ثم دمجت بين الرأيين ، وبين من يرى أن الاصطفاف المحوري حول البيت محققاً لشرط صلاة الجماعة ، وبين من يرى غير مجزي لها.

فكان الحل الهندسي المقترح من وجهة نظرنا ، وبعد دراسة الرأيين ، نراه قد حقق الموقف الشرعي التوافقي بينهما لترتيب صفوف المصلين على شكل أقواس تنتشر في مسجد بيت الله الحرام بحيث يكون مركزها في وسط الكعبة الشريفة ، ذلك المكان المقدس و الشريف في السماء والارض.

التوصيات :

يرى الباحث اهمية مناقشة الخلافات الفقهية على وفق مفهوم التجريد لان التجريد في البحث العلمي يقود الى فهم الحقائق وتصورها بشكل واقعي بعيد عن التعصب والمذهبية وما خلافات الفقهاء الا نتاج للتطور العلمي والعقلي الذي صاحب عملية التطور الاجتماعي للمجتمع العربي المسلم .

المصادر :

القرآن الكريم

- سورة البقرة آية ١٢٤ ، ١٤٤ ، ١٥٠ .
- مسند الإمام احمد ، بيروت ، مؤسسة الفكر العربي ، د ت .
- البهوتي ، منصور بن يونس ، كتاب الصلاة : مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ١٣٩٠ هجري .
- الخوئي ، السيد ابو القاسم ، منهاج الصالحين ، مطبعة النجف ، د ت .
- السيستاني ، السيد علي ، منهاج الصالحين ، مطبعة النهضة ، د ت .
- طالب السنجري ، الفقه الميسر ، دار المجتبي ، بيروت ، ١٩٩٨ .
- النووي ، محي الدين بن شرف ابو زكريا ، منهاج الطالبين ، بدون دار صادر . د ت .